قراءات إستراتيجية

السنة الثامنة العدد التاسع عشر – أغسطس 2016

أثر المراجعات الفكرية للحركات الإسلامية على القضية الفلسطينية

ورشة عمل

منظمة التحرير الفلسطينية

مركز التخطيط الفلسطيني

رئيس التحرير:

د.خالد شعبان

مدير التحرير :

أ.جمال البابا

هيئة التحرير :

أ.مطيع بسيسو

أ.أحمد الطيبي

إعداد وتنسيق :

أ.محمد حمودة

ملاحظة/ لا يجوز طبع أي جزء من هذه النشرة أو خزنه في أي نظام معلومات أو استعماله بأية وسيلة إلا بإذن من مركز التخطيط الفلسطيني

الآراء الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المركز.

المحتويات

تقديم وترحيب.....	د.عبد الحكيم حلاسه	5
فقه المراجعة عند الجماعات العقائدية _الاسلام السياسي نموذجا.....	أ.د. إبراهيم ابراش	7
الشيخ راشد الغنوشي وحركة حماس(قراءة في المراجعات).....	د.أحمد يوسف	25
مداخلات وردود.....		35

اثر المراجعات الفكرية للحركات الإسلامية على القضية الفلسطينية (حركة النهضة نموذجاً)

د.عبد الحكيم حلاسه

تقديم وترحيب

أرحب بضيوفنا الأعزاء، واسمحوا لي أن أبين لكم سبب تنظيمنا لورشة العمل هذه، انطلاقاً بأننا نمر بأزمة وهذه الأزمة خانقة وتطال الجميع بدون استثناء، تنظيمات وحركات وسلطة، وعجزنا عن مواجهة العدو موحدين.

نطمح أن تشكل التجربة التونسية مثالا يحتذى به من الفصائل الفلسطينية المختلفة، فشهدنا في مايو 2016، تعايش فرقاء متناقضين في المدارس الفكرية، فكر نداء تونس العلمانية، استضافت الشيخ راشد الغنوشي، رئيس حركة النهضة ذات التوجه الإسلامي في مؤتمرها وإلقاء كلمة فيه، وكذلك مؤتمر حركة النهضة تحدث الرئيس الباجي قائد السبسي، علاوة على ذلك التحول أو المراجعات لحركة النهضة بفصلها الدعوي عن السياسي والتحول إلى حزب مدني يؤمن بمبادئ الديمقراطية يجعلنا نتفاءل ونتمنى أن يجد هذا التطور صداه عندنا وتتقابل الحركات والتنظيمات الفلسطينية على قاعدة المصير المشترك.

أيضا هناك انتقادات من التيار العلماني من أيد ومن عارض متوقعاً ما حدث هو فقط تلاعب بالألفاظ وتزوير للمعاني.

نريد أن نعرف من ضيوفنا الأعزاء ماذا جرى وما هو مستقبل هذا التحول وأثره على الحركات الإسلامية في العالم العربي وفي فلسطين خاصة، وأننا كما تعرفون يوجد لدينا اكثر من حركة فلسطينية بمرجعيات إسلامية وأكثرها انتشارا حركة المقاومة الإسلامية حماس، والمعروف أن الدكتور ا براهيم أبراش قد طالب سابقاً في مقالات عديدة ولقاءات حوارية أن تنفصل حركة حماس عن الإخوان المسلمين وتتوطن محليا أي تندمج في المشروع الوطني الفلسطيني وتترك فكرة إقامة الخلافة الإسلامية. كما أن الدكتور احمد يوسف معروف عنه إنفتاحه على الأفكار والبرامج السياسية من خارج التيار الإسلامي وبسبب مواقفه الجريئة والوطنية المسؤولة تعرض لانتقادات شديدة من داخل حركة حماس التي طالما اكد باعتزازه بالانتماء إليها.

نشكر المتحدثين أملاً أن نستفيد بالمعلومات والأفكار القيمة التي ستطرح في ورشة العمل هذه.

فقه المراجعة عند الجماعات العقائدية

- الإسلام السياسي نموذجا-

أ.د. إبراهيم ابراش*

مقدمة

المراجعات الفقهية والفكرية التي تظهر بين الفينة والأخرى داخل جماعات الإسلام السياسي أو بعض قياداتها تستحق التوقف عندها ودراستها بتمعن ، نظرا لأن القائمين بالمراجعة شخصيات قيادية لها وزنها داخل الجماعات ، ولأن هذه الجماعات شغلت خلال العقود الثلاثة الاخيرة حيزا كبيرا من المشهد السياسي العربي والإسلامي سواء على مستوى التنظير ومحاولة ملء فراغ تراجع الأيديولوجيات الشمولية كالأممية والقومية ، أو على مستوى الممارسة كمعارضة أو كأحزاب سلطة ، وهي ممارسة اتسمت بالعنف والدموية بشكل غير مسبوق في التاريخ العربي الحديث خصوصا خلال سنوات ما يسمى بالربيع العربي ، كما تركت بصماتها المدمرة اجتماعيا واقتصاديا وتنمويا على الدول والمجتمعات الوطنية وعلى القضية الفلسطينية . [1]

---

* أستاذ العلو م السياسية في جامعة الأزهر في فلسطين ، وزير الثقافة الأسبق .

في الوضع الطبيعي فإن المراجعات الحزبية أو النقد الذاتي حالة صحية وجزء من الحياة السياسية للأحزاب والجماعات السياسية وللأيديولوجيات والأفكار ، من منطلق أن المعرفة الإنسانية بشكل عام معرفة نسبية ، والمطلق الوحيد أو المقدس هو الله والكتب السماوية المُنزَلة ، وحتى على هذا المستوى هي مقدسة ولا تخضع للمراجعة بالنسبة لمعتنقيها فقط ، كما أن التطور سنة من سنن الحياة .

لكن بالنسبة للجماعات العقائدية كجماعات الإسلام السياسي فالأمر مختلف ليس لأنها جماعات ذات مرجعية دينية بل لأنها تضفي على نفسها وأشخاصها واجتهاداتها طابع القدسية مما يجعل المراجعات أمرا صعبا إن لم يكن مستحيلا لأنه يعتبر مسا بالمقدس ، ليس المقدس الحقيقي المرتبط بالقرآن والسنة بل اجتهادات وتأويلات وأشخاص تم إضفاء طابع القدسية عليها .

سنقارب الموضوع في ثلاثة محاور يتناول الأول مقاربة لمفهوم المراجعات عند الجماعات العقائدية الأممية وأهمها في التاريخ المعاصر ، ويتناول الثاني المراجعات عند جماعات الإسلام السياسي ، والمحور الثالث تداعيات مراجعات الجماعات على القضية الفلسطينية والمراجعات التي قامت بها حركة حماس .

المحور الأول

مقاربة لمفهوم المراجعات

مراجعة المواقف والتوجهات السياسية والأيديولوجية للأحزاب والحركات العقائدية وما يُبنى عليها من ممارسات أمر محمود ومطلوب في الحياة السياسية بشكل عام ، فكيف إن أدت هذه المواقف والممارسات لنتائج كارثية على الشعب والقضية أو العقيدة بما في ذلك العقيدة الدينية نفسها التي يدافع عنها الحزب أو الجماعة العقائدية . لقد أكدت التجارب التاريخية و المعاصرة أيضا أن العمر السياسي للأحزاب والنظم الدوغماتية والدينية المغلقة قصير ، وكلما تأخرت عملية

المراجعة والتحول عند هذه الأحزاب والأنظمة كلما كان سقوطها أكثر حتمية وأكثر دموية .

لا نقصد بالمراجعات في سياقنا هذا عملية التقييم للسلوك والمواقف التي تقوم بها الاحزاب أو أية مؤسسة وحتى الأشخاص بين فترة وأخرى لمعرفة أسباب الخلل والتقصير لتجاوزها مستقبلا ، كما لا نقصد بالمراجعة هنا النقد الذاتي أو المراجعة الروتينية للمواقف والسلوكيات ، فهذه كلها أمور تدخل في صلب العمل السياسي ومن طبيعة الحياة بشكل عام .

تعريفنا الإجرائي للمراجعات أنها العملية التي تقوم بمقتضاها الأحزاب والجماعات العقائدية وخصوصا الإسلامية بمراجعات كلية أو جزئية لاجتهادات أو سلوكيات ، وتكون الأمور التي تم التراجع عنها من الثوابت والأساسيات في فكر ومنهج هذه الجماعات ، كما أن سياق المراجعات يأتي بعد سنوات من ممارسة العنف وتكفير أو تخطيء النظام والمجتمع أحيانا ومعاداة الدولة الوطنية وتشريعاتها الوضعية وعدم الاعتراف بها ، وغالبا ما تأتي المراجعات بعد أزمة عميقة تمر بها هذه الجماعات .

فالمراجعة بهذا المعنى تعني إعادة نظر جذرية فيما كان يُعتبر بالنسبة للجماعة مسلمات لا مجال للشك فيها ، وإدراجها في سياق الاجتهادات التي تقبل الخطأ والصواب أو اعتبارها من الاخطاء التي يجب التخلي عنها نهائيا . والمراجعة لا تعني الرجوع عن القواعد الثابتة في العقيدة التي لا يُختلف عليها أو يُشكَك بها ، بل مراجعة اجتهادات وتفسيرات كانت الجماعة تعتبرها مسلمات . فالمراجعة تنصب على الانتاج البشري من فكر وسلوك وليس على الكتاب السماوي – القرآن – أو أحاديث الرسول ونهجه ، حيث كل ما هو خارج هذين المصدرين غير مقدس وغير مُلزم ويمكن الرجوع عنه .

من خلال قراءة لأهم المراجعات التي تركت صدى كبيرا نلاحظ أنها تخص الجماعات العقائدية أو الأصولية ، سواء كانت أصولية دينية كالأصولية الإسلامية أو أصولية علمانية ، فالأصولية ليست سمة أو مرض يصيب الحركات الدينية فقط

بل يتعداها إلى الأيديولوجيات الدنيوية أو الوضعية كالايدولوجيا الماركسية وبعض الأحزاب القومية .

إن ما يجعل المراجعات تؤدي لزعزعة الجماعات العقائدية وإحداث أزمات عميقة داخلها قد تؤدي إلى انهيارها أو تفككها ، هو انغلاق هذه الجماعات لعقود على نفسها ، وإضفاء طابع القدسية على تنظيراتها ومنظريها بحيث لا تُفسح المجال لأن تجدد نفسها ومقولاتها من خلال التجربة والواقع وتستمر بالمكابرة والعناد وإدارة الظهر للفجوة الكبيرة بين مجريات الواقع ومتطلبات الحياة اليومية من جانب وتنظيراتها ومنظريها من جانب آخر .[2].

إن كان مصطلح المراجعات الفكرية ارتبط في عصرنا الراهن بالجماعات الأصولية الإسلامية –الاممية الإسلامية – فقد سبقها في ذلك مراجعات داخل الأممية الشيوعية نتيجة عوامل متعددة ، إما حزبية ذاتية مرتبطة بتطور الوعي السياسي والفكري و نتيجة تدافع الأجيال ، أو نتيجة تلمس خصوصيات اجتماعية (قومية) تتطلب خصوصية في تطبيق النظرية ، أو نتيجة هزائم وعجز في الممارسة ، أو تمرد الفروع على المرجعية الأم في موسكو ، وفي حينها لم تكن تسمى مراجعات بل كان الماركسيون المتمسكون بالأصول الماركسية اللينينية ينعتونها بالتحريفية .

في هذا السياق نستحضر مراجعات الحزب الشيوعي الصيني بزعامة ماوتسي تونغ لأسس الماركسية اللينينية وخصوصا من حيث خصوصية المجتمع الصيني وتركيبته الطبقية بما لا يسمح بتطبيق الماركسية بحذافيرها ، وقد أدت اجتهادات ماوتس تونغ لظهور الماركسية الماوية[3]، والمراجعات التي قام بها الحزب الشيوعي المجري –هنغاريا– عام 1956 و التي أدت لثورة تم سحقها بتدخل عسكري مباشر من موسكو ، نفس الأمر جرى في تشيكوسلوفاكيا عام 1968 أو ما سمي (ربيع براغ) وتم سحقها أيضا بتدخل الجيش الاحمر . [4]

في بداية السبعينيات برزت ظاهرة الأورو شيوعية حيث تمت مراجعة جذرية عند الأحزاب الشيوعية في اسبانيا وفرنسا وايطاليا بحيث جرت عملية توطين أو

قومنة هذه الأحزاب وتخلت عن أهم مرتكزات النظرية الشيوعية حول السلطة والحكم ، كالوصول إلى السلطة عن طريق الثورة وديكتاتورية الطبقة العاملة ، الأمر الذي مكنها من المشاركة في الحياة السياسية الديمقراطية .[5]

في منتصف الثمانينيات ومع استمرار ازمة الشيوعية على المستوى الفكري ومستوى الممارسة والحكم ، طرقت المراجعات أبواب موسكو نفسها والحزب الشيوعي السوفييتي ، وكان ذلك على يد غورباتشوف عام 1985 بعد وصوله للسلطة وقيادة الحزب الشيوعي . فقد أعلن بصراحة عن حاجة الاتحاد السوفيتي لإعادة البناء أو "البيروسترويكا" على المستوى الاقتصادي والشفافية أو "الجلاسنوست" على المستوى السياسي والعام . أدى العمل بهذين المبدأين إلى مراجعات شمولية بدلا من أن تصحح الأوضاع الاقتصادية والسياسية أدت في النهاية إلى انهيار الاتحاد السوفيتي ومعه المعسكر الاشتراكي والايدولوجيا الشيوعية بشكل عام 1991 .

في العالم العربي هناك تجربة حركة القوميين العرب حيث حدث التحول والانتقال من القومية المثالية إلى القومية الاشتراكية ثم مراجعة شمولية امتدت من 1964 إلى 1968 أدت لتحولها إلى قوى وأحزاب وطنية ، وقد صاحب ذلك مراجعات فكرية عميقة [6]. ومراجعات الفلسطينيين الذين كانوا منتمين لأحزاب قومية أو يسارية أو دينية قبل تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية ، حيث راجع هؤلاء مواقفهم من الوطنية الفلسطينية بعد هزيمة حزيران 1967 ، وقرروا هجر تنظيماتهم والانتماء لمنظمة التحرير فرادي أو دخول أحزابهم لمنظمة التحرير في إطار المشروع الوطني الفلسطيني .

و في المغرب جرت مراجعات منتصف الثمانينيات عند قوى اليسار. حيث انتقلت هذه الأحزاب ، كحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية والحزب الشيوعي – التقدم والاشتراكية لاحقا – ومنظمتا إلى الأمام و 23 مارس ، من مرحلة المعاداة المطلقة للنظام وإشهار السلاح ضده لإسقاطه وإقامة نظام سياسي بديل يتبنى المنهج الماركسي ، إلى مرحلة الاندماج والمشاركة في النظام السياسي في إطار مصالحة تاريخية مع المؤسسة الملكية والنهج الديمقراطي ، وقد آلت الأمور إلى أن

يشكِل حزب الاتحاد الاشتراكي الحكومة وصيرورة أمينه العام عبد الرحمن اليوسفي من محكوم بالإعدام يعيش في المنفي في فرنسا إلى رئاسة الوزراء ، بعد الانتخابات البرلمانية عام 1998 وتشكيل حكومة التوافق الوطني . [7]

المحور الثاني

المراجعات عند جماعات الإسلام السياسي

تصريحات راشد الغنوشي زعيم حزب النهضة التونسي في المؤتمر العام العاشر للحزب 19-21 مايو 2016 وتصريحات لاحقة له لصحيفة الشرق الأوسط اللندنية قال فيها " إن حركة النهضة تطورت من حركة إسلامية شمولية إلى حزب مدني وطني متصالح مع الدولة والمجتمع " ، وتأكيده على قطع الصلة التنظيمية بجماعة الإخوان المسلمين وبالإيديولوجيات الشمولية والفصل بين الدعوي والسياسي .[8] هذه التصريحات فتحت مجددا موضوع المراجعات عند الجماعات الأصولية وتأثيرها على مستقبل الظاهرة المسماة الإسلام السياسي وعلاقتها بالدولة الوطنية والمجتمع بشكل عام .

مع أن التجربة الشخصية لراشد الغنوشي المرتبطة بحياته في المنفى في فرنسا ولندن لعبت دورا في صقل أفكاره ومرونتها ،وما ساعد على ذلك أيضا خصوصية الإسلام السياسي في تونس وهي خصوصية مستمدة من طبيعة المجتمع التونسي والثقافة التي رسخت خلال عقود ما بعد الاستقلال ، إلا أن هذه المواقف لحزب النهضة وللغنوشي تحديدا تندرج في إطار ما يمكن أن نسميه فقه المراجعات عند جماعات الإسلام السياسي ، وهي ظاهرة ليست جديدة ، ولكن هذه المرة مختلفة حيث جاءت بعد تراجع شعبية جماعات الإسلام السياسي وفشل تجربتها في الحكم في بعض الدول [9]، وتحميلها مسؤولية فوضى الربيع العربي وما صاحبها من مظاهر عنف ، وانكشاف علاقتهم بالغرب وخصوصا الولايات المتحدة الأمريكية .

يمكن إرجاع أولى الاجتهادات التي يمكن إدراجها في سياق المراجعات المعاصرة عند المرجعيات الدينية وداخل جماعات الإسلام السياسي إلى أحد علماء الأزهر على عبد الرازق ، الذي اعتبر أن نظام الخلافة نظام دنيوي وليس ديني [10]، وقد تعرض في حينه لانتقادات كثيرة وأصدر الأزهر بيانا قال فيه إن اقوال على عبد الرزاق لا تمثل الأزهر .

ما بين عامي 1997 و 1999 أقدمت بعض قيادات الجماعة الإسلامية المصرية أثناء وجودها في السجن ، على مراجعات أثارت كثيرا من الجدل داخل الجماعة وخارجها ، وهي مراجعة اقتصرت على التراجع عن نهج العنف والأسس الفكرية الفقهية التي يستند إليها . [11]ومع أن جدلا ثار لاحقا حول مصداقية وجدية هذه مراجعات السجون إلا أننا نعتقد أن أهم قيادات الجماعة الإسلامية كانت صادقة في مراجعاتها ومنهم ناجح إبراهيم [12]. وبعد سقوط حكم محمد مرسي وبداية محاكمة قادة الإخوان في السجون تجري مجددا مراجعات داخل جماعة الإخوان وإن كان البعض يشكك بجدواها ومصداقيتها حيث ينظرون لها كمناورة للخروج من السجن أو كممارسة باطنية تميز بها الإخوان .

في نهاية السبعينيات أثار حسن الترابي في السودان ضجة كبيرة بمواقفه التي اعتبرت مراجعات خطيرة حتى إن بعض علماء السودان طالبوا بـ "استتابته" وبعضهم الآخر قال إنه تأثر بأفكار الخميني حيث كانت الثورة الإيرانية في بداياتها . مست مراجعات الترابي جوانب متعددة ، كالموقف من المرأة وكانت له رؤية متقدمة تجاه المرأة ،وعلاقة الدعوي بالسياسة ، حيث قال بأولوية الدولة على المجتمع ، أيضا حول الجهاد والعلاقة مع اصحاب الديانات الأخرى ، ومع أن الترابي انشق عن جماعة الإخوان المسلمين مبكرا وشكل " حزب المؤتمر الشعبي السوداني " إلا أنه استمر في مراجعاته المثيرة للجدل حتى وفاته . [13]

وبالنسبة لتنظيم القاعدة العنوان الأبرز للإسلام السياسي المتشدد ، فقد مارست القاعدة نقدا عنيفا لجماعة الإخوان المسلمين وأخذت عليها نهجها البراجماتي المفرط بل وصفت الجماعة بأنها "مرجئة العصر " ، إلا أن تنظيم القاعدة لم ينج بدوره من مراجعات من داخله بدءا من عام 2007 وكان

اشـهرها مراجعـات سـيد إمـام الشـريف المشـهور بالـدكتور فضـل و "ومفتـي المجاهـدين فـي العـالم " كمـا اطلـق عليـه تنظـيم الجهـاد ، وقـد دون مراجعاتـه فـي ثلاثـة كتـب ، أولهـا "وثيقـة ترشـيد العمـل الجهـادي " وثانيهـا "التعريـة"وآخرها " الصـراع فـي أفغانسـتان " ، وأهـم مـا جـاء مراجعاتـه : الـدعوة لترشـيد العمـل الجهـادى فـى مصـر والعـالم ، كمـا يسـتنكر ظهـور صـور مسـتحدثة مـن القتـل والقتـال باسـم الجهـاد انطـوت علـى مخالفـات شـرعية ، ويـرى أن الجهـاد فـي الإسـلام فريضـة مسـتمرة وباقيـة ، لكـن (الجهـاديين) مارسـوا أخطـاء عديـدة ، وصـلت إلـي حـد المفاسـد .كمـا قـال " إن سـفك الـدماء وإتـلاف الأمـوال بغيـر حـق ، مـن أكثـر الأشـياء التـي تجلـب سـخط الـرب " [14] . بالإضـافة إلـى مراجعـات الأردنـي أبـي محمـد المقدسـي ، فـي كتابـه "وقفـات مـع ثمـرات الجهـاد " و رسـالته " مناصـرة ومناصـحة " الموجهـة لأبـي مصـعب الزرقـاوي قبـل وفاتـه سـنة 2006 . [15]

وفـي ليبيـا حـدثت مراجعـات عنـد الجماعـة الإسـلامية الليبيـة المقاتلـة ، وقـام سـيف الإسـلام القـذافي بـدور كبيـر مـن خـلال حواراتـه مـع قـادة الجماعـة فـي السـجون الليبيـة اسـتمرت لعـامين 2007–2009 ، ووردت المراجعـات فـي وثيقـة موسـومة بعنوان " دراسات تصحيحية في مفاهيم الجهاد والحسبة والحكم على الناس " [16].

وفـي المغـرب حـدثت نقلـة نوعيـة عنـد حـزب العدالـة والتنميـة بعـد فـوزه بالانتخابـات التشـريعية لأول مـرة 2011 حيـث بـدى واضـحا توطينـه للايـدولوجيا الدينيـة لصـالح الوطنيـة المغربيـة و(الإسـلام المغربـي) . [17] وسـبق ذلـك مراجعـات داخـل حركـة الشـبيبة الإسـلامية المغربيـة التـي كانـت تميـل للعنـف وأدت المراجعـات إلـى ظهـور حركـة التوحيـد والإصـلاح عـام 1996 ، ومـن أبـرز قادتهـا الـدكتور أحمـد الريسـوني الـذي وثَّـق مراجعـات حركتـه فـي أحـد كتبـه حيـث يقـول فـي مقدمـة الكتـاب إن " الفقـه الإسـلامي عمومـا هـو اجتهـاد بشـري ، فـإذا كـان الـوحي معصـوما ؛ فـإن فهمـه والاستنباط منه ليس عملا معصوما " .[18]

وفـي الأردن أعلـن فـرع جماعـة الإخـوان المسـلمين فـي ينـاير 2016 عـن انفصـاله عـن جماعـة الإخـوان فـي مصـر مؤكـدا أن مـا يـربط الجماعـة فـي الاردن ببقيـة

فـروع الإخـوان مجـرد تنسـيق ولـيس علاقـة تنظيميـة [19]، كمـا يشـوب التبـاس علاقة حزب التجمع اليمني للإصلاح في اليمن بجماعة الإخوان المسلمين .

أن تراجـع القـوى السياسـية مواقفهـا وأيـديولوجياتها لا يعنـي التراجـع والتخلـي عـن القـيم والأهـداف والمصـالح الوطنيـة أو التخلـى عـن العقيـدة الإسـلامية ، بـل مراجعـة مواقـف وأيـديولوجيات مؤسَسـة علـى فهـم خـاطي للمصـلحة الوطنيـة أو للـدين أو لهمـا معـا ، فالمراجعـة فـي هـذه الحالـة هـي عمليـة تراجـع عـن شـطط فـي التفكيـر وتقصـير فـي الفهـم والإدراك أديـا لأخطـاء فـي الممارسـة ، والمراجعـة تعنـي التصـالح مـع الشـعب ومـع الوطن والوطنية .

ولكـن وحتـى تكـون المراجعـة حقيقيـة ولـيس مجـرد منـاورة للخـروج مـن مـأزق أو الانحنـاء للعاصـفة حتـى تمـر ، يجـب أن تكـون مراجعـة جذريـة للفكـر والأيـديولوجيا ومراجعـة للسـلوك والممارسـة فـي نفـس الوقـت ، كمـا يجـب أن تؤسَـس المراجعـة علـى اعتـراف حقيقـي بالخطـأ واسـتعداد لتصـحيحه وتَحَمُّـل نتـائج ذلـك ، حيـث لكـل مراجعـة ثمـن يجـب أن يُـدفع ، وأن يُـدفع اليـوم بخسـائر أقـل أفضـل مـن أن يُـدفع مسـتقبلا بخسـائر أكثـر فداحـة حزبيـا ووطنيـا وقـد يصـل الأمـر لإخـراج الحـزب أو الحركـة السياسـية مـن المشـهد السياسـي موسـوما بالخيانـة . لـذا فمـن الافضـل أن يُـدفع الـثمن اليوم للشريك الوطني أفضل من أن يُدفع غدا لأطراف خارجية .

إن تغييـر السياسـات علـى أرض الواقـع والتخلـي عـن حالـة الاسـتعلاء علـى الـوطن والقـوى الوطنيـة والاسـتعداد للانخـراط فـي الحالـة الوطنيـة فـي إطـار شـراكة لا تعطـي تميـزا علـى أسـاس احتكـار الحقيقـة الدينيـة ... هـو المحـك للحكـم علـى مـدى مصـداقية خطـاب المراجعـة والنقـد الـذاتي . كمـا أن المراجعـة والنقـد الـذاتي لا يُسـقطا المسـؤولية ولا يمنحـا شـهادة حسـن سـير وسـلوك للمـراجعين تـؤهلهم لأن يسـتمروا فـي السـلطة إن كـانوا يتولونهـا أو يسـتلموا سـدة الحكـم وقيـادة النظـام السياسـي مباشـرة إن كـانوا فـي المعارضـة ، بـل يجـب أن يمـروا بمرحلـة مـن إعـادة التأهيـل واختبـار المصداقية ، حتى لا يصبح الوطن والدين حقل تجارب لكل من هب ودب .

من خلال ما سبق واستقراء كل حالات المراجعة عند جماعات الإسلام السياسي نلاحظ بأن المراجعات لا تمس المرجعية الدينية بحد ذاتها بل هي مراجعة لاجتهادات وتفسيرات في بعض القضايا الفقهية أدت لدخول الجماعة المعنية في أزمة داخلية أو بينها وبين الدولة والمجتمع . أحيانا تكون المراجعات كلية أو جزئية تقتصر على بعض الاجتهادات الفكرية أو السلوكيات بدون أن تؤثر على النهج او الخط العام للحركة .

المحور الثالث

مراجعات حركة حماس حول إشكالية الوطني والديني

كتبنا منذ عقد من الزمان مطالبين بتوطين الايديولوجيات الدينية في فلسطين لتصبح جزءا من الحالة الوطنية ومتصالحة معها ، وتجنب افتعال صدام كما يجري في بعض البلدان العربية ما بين الوطنية والدين كما تفهمه وتوظفه جماعات الإسلام السياسي [20] .

الإسلام دين كل المسلمين وهو حالة دائمة لا يرتبط وجوده بحزب أو شخص وهو منزه عن الأهواء والأغراض الشخصية والفئوية الضيقة ، بينما جماعة الإخوان المسلمين وجماعات الإسلام السياسي الأخرى أحزاب سياسية لها مصالح بشرية ودنيوية حتى وإن رفعت شعارات دينية أو اتكأت على الدين في تبرير سلوكياتها ، وقادتها ليسوا منزهين عن الخطأ ،كما أنها أحزاب معرضة للزوال في أية لحظة . لو عدنا للتاريخ السياسي الإسلامي لوجدنا آلاف الفرق والجماعات والأحزاب التي كانت تدعي بأنها تمثل الإسلام ، وكلها اندثرت ولم تترك إلا الخراب ومزيدا من فُرقة المسلمين ومن تاريخ دام أسود . لكن يبدو أن البعض في زمننا هذا لا يريد استلهام الدروس والعبر من التاريخ السياسي للمسلمين ويُفضل أن يجرب المجرب ويبدأ دائما من نقطة الصفر ، لأن توظيف الدين سياسيا بات صنعة من لا

صنعة له وحرفة لا تحتاج لعقل أو علم بقدر ما تحتاج للديماغوجية والتلاعب بمشاعر العامة واستغلال فقرهم وجهلهم.

لو نظرنا للعالم من حولنا اليوم سنلاحظ أنه ما كان لحزب التنمية والعدالة التركي أن ينجح لو لم يوطن أيديولوجيته الدينية ويشتغل ضمن حدود الدولة القومية العلمانية وبما يخدم المصلحة الوطنية التركية دون ارتباط بأي إطار خارجي ، نفس الأمر في إيران حيث الانسجام والتناغم ما بين القومية الفارسية والإسلام الشيعي ، بل تعمل الأولى على توظيف الخطاب الديني الإسلامي خارج إيران لمصلحة الدولة القومية الفارسية . وفي الحالتين يجري تكييف الدين بما يخدم المصلحة الوطنية وليس العكس ، والإسلام يسمح بذلك . وما هو قريب من ذلك ما يجري في ماليزيا واندونيسيا من تعايش وانسجام ما بين الدين والوطنية حيث لا يزعم مسلمو تلك البلدان بأنهم امتداد لأية جماعة سياسية دينية خارجية ، والتجربة تتكرر في المغرب بشكل متميز وواعد.

أدركت فروع جماعة الإخوان المسلمين في مصر والأردن وتونس والمغرب خطورة المأزق الناتج عن كونها فروع لجماعة أممية ترفع شعار الخلافة وأيديولوجية سياسية شمولية عن الإسلام ، متجاهلة الحالة الوطنية كثقافة وهوية وروابط يؤسسها العيش المشترك في كيان سياسي متمايز عن غيره ،من جانب ، والحاجة للانخراط في الحياة السياسية الوطنية المحكومة بدستور وقوانين والمؤسسة على مفهوم المواطنة من جانب آخر .

المشكلة الرئيسية بالنسبة للإسلام السياسي في فلسطين وخصوصا مع حركة حماس لا تكمن في وجود اجتهادات فقهية تستدعي من حركة حماس مراجعتها ، نظرا لغياب علماء دين مجتهدين وبسبب تبعية جماعات الإسلام السياسي في فلسطين لمرجعية خارجية ، إن المشكلة تكمن في اصطناع مواجهة بين المشروع الوطني و (المشروع الإسلامي) قبل قيام الدولة الوطنية المستقلة وفي خضم المواجهة مع إسرائيل التي تحتل كل فلسطيني وتشكل النقيض الموضوعي للشعب والوطن .

انطلاقا من هذه الخصوصية طالبنا حركتي حماس والجهاد الإسلامي لتصبحا جزءا من المشروع الوطني الفلسطيني ، نظرا لأن الشعب الفلسطيني يعيش مرحلة تحرر وطني تحتاج لإعلاء راية الوطنية والتمسك بالهوية والثقافة الوطنية ، ولخطورة رهن القضية الوطنية بأي أجندة خارجية حتى وإن كانت ترفع شعارات دينية .

وفي هذا السياق لا بد من الإشارة إلى اختلاف حركة الجهاد عن حركة حماس ، حيث إن حركة الجهاد وبالرغم من انتماء مؤسسيها الأوائل لحركة الإخوان المسلمين إلا أنها انفصلت منذ تأسيسها عام 1987 على يد عبد العزيز الشقاقي عن الإخوان وبالتالي عن حركة حماس ، ولها مواقف سياسية مغايرة عن حركة حماس ، كما انها تُشكل جماعة إسلامية وطنية حيث لا تُعلن انها امتداد لمرجعية أو جماعة خارجية ، ورفضها الدخول في منظمة التحرير ليس لأن المنظمة علمانية ، كما تبرر حركة حماس رفضها دخول منظمة التحرير ، بل بسبب النهج السياسي للمنظمة .

توطين حركة حماس لفكرها وأيديولوجيتها مطلب ضروري إن رغبت بأن تكون جزءا من النظام السياسي الفلسطيني و تقود الشعب الفلسطيني ، لأن الشعب الفلسطيني لا يقبل أن تحكمه حركة سياسية تقول بأنها امتداد لجماعة الإخوان المسلمين وفرع من فروعها ، لأن ذلك يعني أن الأصل هو الذي يحكم ، أي يصبح الشعب الفلسطيني محكوم ومسير من طرف جماعة الإخوان المسلمين ويصبح مصير قضيتنا الوطنية رهن بما تأول إليه الأمور في هذه الجماعة ولحساباتها وتوازناتها ومصالحها الأممية .

لا يعني أن توطن حركة حماس نفسها تخليها عن بعدها الإسلامي أو قطع صلتها كليا بجامعة الإخوان ،فهذا شأنها وشأن المنخرطين فيها ، ويمكنها أن تستمر بهذه الوضعية ما دامت خارج السلطة والقيادة أو تمارس الجهاد المقدس ، ولكن أن تقول أو تتطلع لقيادة الشعب الفلسطيني وفي نفس الوقت تقول بأنها امتداد لجماعة خارجية فهذا ما لا يقبله الشعب الفلسطيني لأنه لا يقبل أن يقوده تنظيم خارجي ،

ولا يقبل أن يرتبط مصيره ومصير القضية الوطنية بمصير حزب قيادته غير فلسطينية.

كثيرون تمنوا على حركة حماس عدم الانزلاق نحو مشاريع دينية أممية على حساب المشروع الوطني ، وألا ينخدعوا بالأصوات الخارجية التي ضخمت من فوزهم في الانتخابات التشريعية يناير 2006 مصورين ذلك انتصارا للمشروع الإسلامي العالمي يجب الحفاظ عليه بأي ثمن ، إلى غير ذلك من الخطابات التي دفعت حركة حماس للتعالي على المشروع الوطني وقواه الوطنية ، وتمنينا على حركة حماس أن تقول لحلفائها ومرجعياتها في الخارج ، إن كانوا يريدون نجاح مشروع الإمارة الإسلامية فليبحثوا عن هذا النجاح في الدول الإسلامية المستقلة وذات السيادة ،أما في فلسطين فهناك خصوصية تجعل المسألة الوطنية والمشروع التحرري الوطني سابق على أي مشاريع أخرى .

في المجتمعات الإسلامية الأخرى يمكنهم تغييب البعد الوطني أو إلحاق الوطني بالديني دون خوف على الهوية الوطنية والدولة الوطنية ،أما في فلسطين فيجب إلحاق الديني بالوطني ، أي توطين الإسلام السياسي،وعندما ننجز مشروعنا الوطني التحرري ودولتنا الوطنية ،آنذاك يكون لكل حادث حديث .

بذلت منظمة التحرير كل الجهد لانضواء حركتي حماس والجهاد الإسلامي في منظمة التحرير وفي المشروع الوطني ، ولا يسعنا في هذا السياق تجاهل موقف الرئيس أبو مازن في انتخابات يناير 2006 حيث شجع مشاركة حماس في الانتخابات بالرغم من علمه بما تحظى به من شعبية ، كما ناشد وتمنى على حركة حماس أن تتفهم خصوصية وخطورة المرحلة وطلب من السيد إسماعيل هنية رئيس الوزراء آنذاك أن يقدم برنامج حكومي لا يمنح إسرائيل فرصة للإجهاض على الحكومة الوليدة – مع أن إسرائيل لا تحتاج لمبررات إضافية لحصار الشعب ولإضعاف السلطة الوطنية بغض النظر عمن يترأسها أو يشكل حكومتها – ولا يدفع دول العالم وخصوصا الممولِة للسلطة من أن تفرض الحصار على قطاع غزة وعلى السلطة بشكل عام.

كان أمام حركة حماس أكثر من فرصة ومناسبة للدخول بعِزة ومن مركز القوة في النظام السياسي والمشروع الوطني ، إلا أنها فوتت هذه الفرص نتيجة ما كانت تتعرض له من ضغوط من طرف الاجندات والمشاريع الخارجية ، وبسبب فهم خاطئ لعلاقة الديني بالوطني ، وأيضا نتيجة حقد بعض قياداتها على حركة فتح ومنظمة التحرير ، وكان ثمن ذلك سقوط الكثير من الضحايا بالإضافة إلى حالة الانقسام المريرة ، دون تجاهل أخطاء وممارسات ، بعضها مقصودة وأخرى غير مقصودة ، من بعض المسئولين في حركة فتح والمعسكر الوطني .

بعد ما جرى ويجري في العالم العربي من فوضى وتراجع جماعات الإسلام السياسي وخصوصا في مصر أخذنا نسمع خطاب المراجعة والنقد الذاتي عند حركة حماس على لسان بعض قادتها من خلال ملامسة مفردات المشروع الوطني ، كما خففت الحركة من ملاحقة رموز المشروع الوطني كالكوفية والعلم والأغاني الوطنية ، بالإضافة إلى تخفيف حدة علاقاتها مع الشخصيات والقوى الوطنية المعارِضة لها . لكن التغير الأهم هو صدور تصريحات ملتبسة عن علاقة حركة حماس بالتنظيم الدولي لجماعة الإخوان المسلمين وتأكيدها بأنها تنظيم وطني فلسطيني ، وهذا ما سمعناه خلال وبعد زيارة الوفد الحمساوي المفاجئة للقاهرة منتصف مارس 2016 . ومنها ما ذكره النائب في التشريعي يحيى العبادسة في مقابلة صحفية حيث قال "أنا في حركة حماس منذ 40 عام ، لا أعلم أنه لهذه الحركة أي ارتباط تنظيمي إداري بحركة الإخوان المسلمين ، وما يتم الحديث عنه في هذا الأمر لا أصل له من البداية" ، مؤكداً أنه حماس حركة تحرر وطني أجندتها وقيادتها فلسطينية ، ومجال عملها ضد الاحتلال في فلسطين " . [21]

حركة حماس اليوم أمام مفترق طرق : إما أن تستمر في التموضع كامتداد لأصل خارجي وبالتالي قرارها خارجها مما يجعلها عرضة لمراهنات البعض من الأيديولوجيين الإسلاميين على جعل غزة الإقليم القاعدة لدولة الخلافة الموعودة ،أو أن تنحاز لفلسطين وللهم الوطني وتعمل مع القوى السياسية الفلسطينية على جعل مشروع الدولة الوطنية ممكنا ،وفي المشروع الوطني متسع للجميع و الوطنية

الفلسطينية لا تناصب الدين العداء ، بل إن هذا الأخير جزء أصيل منها وأحد أدواتها في مواجهة المشروع اليهودي الصهيوني الاستعماري .

إذن من الجيد أن تقوم حماس بتوطين خطابها وتوجهاتها السياسية وأن تتعلم درسا من تجربة مريرة من التبعية لأجندة ومشاريع عابرة للوطنية ، وقد سبقها في ذلك حزب النهضة في تونس والعدالة والتنمية في المغرب ، وإخوان الأردن ، والنموذج الماليزي مع مهاتير محمد ، والتركي مع رجب طيب أردوغان ، بل أيضا حركة الجهاد في فلسطين . مراجعة حركة حماس لا يعني أن تلتحق بمشروع أوسلو أو حتى بمنظمة التحرير بواقعها الراهن ، بل بالمشروع الوطني الذي يجب أن يُعاد تأسيسه بمشاركة الجميع ، وهو مشروع يحتاج لروح المقاومة والصمود .

إن كنا نستحسن مراجعات حماس ونرحب بتحسن وتصويب العلاقة بين حركة حماس ومصر ومحاولة تبرئة نفسها من الاتهامات التي توجهها لها مصر حول ضلوعها في أعمال عنف داخل الأراضي المصرية ، كما نرحب بتحسين علاقاتها مع كل البلدان العربية وغير العربية ، إلا أن غموضا والتباسا يكتنف تحرك حماس الأخير ، الأمر الذي يحتاج لمزيد من الوضوح . في هذا الإطار نتمنى أن يكون ما تقوم به حماس يندرج في سياق مراجعة وتحول استراتيجي يضعها في حالة تصالح مع الوطنية الفلسطينية ، وليس مناورة وتكتيك لحل أزماتها المالية وامتصاص حالة عدم الرضا والغضب الشعبي المتصاعد ضدها في قطاع غزة .

خاتمة

بعد ما وصل إليه حال المسلمين من فرقة وتناحر داخلي وسيطرة الفكر المتطرف فإن الأمر يحتاج ليس فقط لمراجعات جزئية من هذا الداعية أو الحزب الإسلامي او ذاك بل لثورة دينية ، ليس ثورة ضد الدين ولكن ثورة من أجل موضعة الدين في الحياة السياسية بحيث لا نجعله محل اجتهاد وحقل تجارب لكل من هب .

وعلى المستوى الفلسطيني كان على حركة حماس الأخذ بعين الاعتبار خصوصية الحالة الفلسطينية عن الحالة العربية ، بمعنى في الحالة العربية الشعوب أقامت دولتها ومشروعها الوطني ، وبعض فئات المجتمع تريد أن تنقل المجتمع من مربع الدولة الوطنية الى مربع أشمل وهو الدولة أو الخلافة الاسلامية ، لكن الفلسطينيين لم ينجزوا الدولة الوطنية بعد وما زالوا تحت الاحتلال ومهمتهم تحرير وطنهم أولا ، وسيكون من المخاطرة القفز لمشروع الخلافة أو الوحدة الإسلامية قبل إقامة الدولة الوطنية وتحرير فلسطين .

الهوامش

* – أستاذ العلو م السياسية في جامعة الأزهر في فلسطين ، وزير الثقافة الأسبق .

1. تتعدد المسميات التي تُطلق على الجماعات التي توظف الدين للوصول إلى السلطة – وإن كان البعض يُخرج الجماعات السلفية الدعوية التي لا تتدخل بالسياسة مباشرة من تصنيف الإسلام السياسي إلا أننا نرى أن كل حزب أو جماعة تميز نفسها بالدين لها علاقة بالسياسة بشكل أو آخر حتى وإن ادعت غير ذلك – لذا فإن كل جماعة تسعى للوصول للسلطة سواء عن طريق العنف أو غيره من الوسائل ، لتطبيق برنامجها المتكئ على تصورها الخاص للسلطة والدولة والمستمد من الدين ، تتدرج في إطار الإسلام السياسي أو الجماعات الأصولية ، وبطبيعة الحال فإنها تختلف عن بعضها من حيث درجة لجوئها للعنف أو تكفير الآخر أو الاعتراف بالديمقراطية والمشاركة السياسية الخ .

2. الليبرالية أقدم في الظهور من الماركسية ، وبينما انهارت الثانية استمرت الاولى ويعود السبب أنها تجدد نفسها باستمرار ولا تضفي طابع القدسية على مقولاتها ومفكريها وتؤمن بأن المعرفة الإنسانية معرفة نسبية وأن النظرية العلمية الحقيقية هي النظرية التي تقبل المراجعة وإعادة النظر في مقولاتها .

3. حول الموضوع يمكن الرجوع إلى : سمير امين ،ترجمة صلاح داغر ، الماوية والتحريفية ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1984 .

4. لم يقتصر أمر المراجعات أو الاجتهادات داخل المنظومة الشيوعية على هذه الاحزاب بل شملت غيرها ، كمراجعات أو تحريفية أنور خوجا في البانيا والذي حكم البلاد لمدة أربعين عاما حتى 1985 ، ومراجعات جوزيف بروز تيتو في يوغسلافيا الذي اشتق نهجا خاصا بيوغسلافيا ،

واستمر نهجه حتى وفاته 1980 ، ويمكن أن نضيف فيدل كاسترو في يوغسلافيا . مع العلم أن هذه الأحزاب اتهمت أولا الحزب الشيوعي السوفيتي بالتحريفية ومماألأة الامبريالية بعد المؤتمر العشرين للحزب .1956

5. حول الظاهرة يمكن مراجعة كتاب الأمين العام للحزب الشيوعي الإسباني : سانتياغو كاريللو ، الأورو شيوعية والدولة ، ترجمة سعاد محمد خضر ، بغداد ، .1978

6. يمكن الرجوع إلى : إبراهيم أبراش ، دراسة تحليلية لحركة القوميين العرب ومواقفها من القضية الفلسطينية ، ضمن كتاب : الحركة القومية العربية في مائة عام ، إعداد ناجي علوش ، دار الشروق ، عمان ، 1998 .

7. أنظر حول الموضوع بالتفصيل : إبراهيم أبراش ، الديمقراطية بين عالمية الفكرة وخصوصية التطبيق (مقاربة للتجربة الديمقراطية في المغرب) ، منشورات الزمن ، الرباط ، .2001

8. صحيفة الشرق الأوسط اللندنية 1 يونيو 2016

9. فشلت جماعة الإخوان المسلمين بقيادة محمد مرسي في الاستمرار بحكم مصر لأكثر من سنة – تم انتخابه يوم 24 يونيو 2012 وعزلته القوات المسلحة في 3 يوليو 2013 بعد ثورة شعبية – كما انهزم حزب النهضة التونسي في الانتخابات التشريعية التي جرت في اكتوبر 2014 ، وفي بقية البلدان تراجعت شعبيتهم بدرجة كبيرة بل تم تصنيف جماعة الإخوان المسلمين كحركة إرهابية من طرف العربية السعودية ودولة الإمارات العربية وغيرها .

10. علي عبد الرازق ، الإسلام وأصول الحكم ، دار الهلال ، القاهرة ، 1925 .

11. تم الإعلان عن هذه المراجعة في يوليو عام 1997، أثناء نظر القضية رقم " 235 " حيث ألقى أحد المتهمين ، وهو محمد عبدالعليم ، بيانا موقعا من القادة التاريخيين للجماعة الإسلامية يدعو فيه إلى وقف العمليات المسلحة كافة ووقف التحريض عليها داخل وخارج مصر حقنا للدماء.

12. يعتبر ناجح إبراهيم من القيادات الإسلامية العقلانية المؤثرة على قطاعات الشباب والمثقفين ، ومن أقواله حول المراجعات : "انطلاق المراجعات في إطار السلفية الجهادية التي تعد القاعدة أبرز ممثليها ، أتت بعد مسار طويل من المواجهة ، وإيمان راسخ بـ (حتميتها)، وهو المسار الذي أفضى إلى الوصول إلى (حتمية) المراجعة وفقه النتائج ".

13. توفي يوم الخامس من مارس 2016 . وحول افكاره ومراجعاته يمكن الرجوع إلى : حسن مكي ، مراجعات الحركة الإسلامية في السودان ، 2010 ، دار المدبولي ، القاهرة . حسن

الترابي : السياسة والحكم : النظم السلطانية بين الأصول وسنن الواقع ، الدار العربية للعلوم 2011 . أيضا سلسلة مقابلات متلفزة مع الترابي تحت عنوان مراجعات الترابي على الرابط التالي : https://www.youtube.com/watch?v=N34EAxbcwq0

14. http://al3asemanews.net/news/show/138927

15. هاني سمرة ، رؤية تحليلية لمراجعات الجماعات الجهادية ، الجزيرة نت ، 6 فبراير 2012 .

16. http://www.assakina.com/center/parties/9489.html#ixzz4B1D3jkjy

17. بالرغم من أن البعض يعتبر حزب العدالة والتنمية المغربي جزءا من التنظيم العالمي للإخوان إلا أن الحزب يُعرِّف نفسه بأنه " حزب سياسي وطني يسعى ، انطلاقا من المرجعية الإسلامية وفي إطار الملكية الدستورية القائمة على إمارة المؤمنين ، إلى الإسهام في بناء مغرب حديث وديمقراطي ، ومزدهر ومتكافل ، مغرب معتز بأصالته التاريخية ومسهم إيجابيا في مسيرة الحضارة الإنسانية " وقد نفى.عبد الإله بن كيران الأمين العام للحزب بعد فوز حزبه بالانتخابات أية علاقة تنظيمية مع الإخوان المسلمين .

http://www.alhurra.com/content/moroccan-prime-minister-benkiran-muslim-brotherhood-egypt-/255300.html

18- احمد الريسوني ، فقه الثورة ... مراجعات في الفقه السياسي الإسلامي ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، 2012 .

19- تصريح لمعاذ الخوالدة الناطق الرسمي باسم جماعة الإخوان المسلمين في الأردن لصحيفة اليوم السابع المصرية 21 فبراير 2016 .

http://www.youm7.com/story/2016/2/21

20- =http://m.ahewar.org/s.asp?aid=78855&r=75&cid=0&u=&i=1517&q

21 - http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2016/03/27/892153.html

الشيخ راشد الغنوشي وحركة حماس
قراءة في المراجعات

د. أحمد يوسف

تقديم:

إن معظم الحركات الاجتماعية والسياسية تولد أولاً، لتعي بعد ذلك وجودها، فالتراكم التاريخي والواقع الموضوعي والإرادة الإنسانية، هي عوامل ثلاثة تشترك بنسب متفاوتة في إخراج الظواهر الاجتماعية من باطن الحراك التاريخي، ومن ثم يبدأ الوعي بالذات ينمو تدريجياً لمواكبة حجم الفعل والمساحة التي ستحتلها الظاهرة، والأدوار التي ستقوم بإنجازها. تلك هي قصة كل أصحاب المشاريع الإسلامية المعاصرة، وهذا ما سنتناوله أو نعرض لبعض جوانبه في حديثنا حول المراجعات.

في الثاني من يونيه 2016، عقد مركز التخطيط الفلسطيني بمقره في قطاع غزة ورشة عمل تحت عنوان "أثر المرجعيات الفكرية للحركات الإسلامية على القضية الفلسطينية"، وقد حاولنا تناول بعض متغيرات الساحة التونسية والتحولات الفكرية التي أوردها الشيخ راشد الغنوشي على خطاب حركة النهضة، وانعكاسات ذلك على الحركات الإسلامية في الوطن العربي، بما في ذلك حركة حماس.

لاشك أن طرح هذا الموضوع للنقاش هو حاجة وطنية، وقراءة بهدف استشراف تأثيرات المحيط العربي على الحركة الإسلامية، التي تتصدر – اليوم – مع قوى وطنية أخرى مشروع الرؤية والفعل المقاوم على أرض فلسطين.

في الحقيقة، جاءت تصريحات الشيخ الغنوشي حول ضرورة الفصل بين الدعوي والسياسي في الحركة الإسلامية مفاجئة لدى الكثير من الإسلاميين في الوطن العربي. وبحكم معرفتي الشخصية بالشيخ الغنوشي على مدار أكثر من ثلاثة عقود، فلم تحمل هذه التصريحات عنصر المفاجئة بالنسبة لي، فالرجل كمفكر وقيادي وداعية بمواصفات كاريزمية عالية عرفته منذ منتصف السبعينيات عندما كنت طالباً جامعياً في القاهرة، من خلال مجلة المعرفة التونسية؛ وهي مجلة إسلامية ثقافية فصلية تمثل صوت الجماعة الإسلامية، وهي بأقلام كتَّابها تدافع عن صورة الإسلام وأصالته الحضارية في تونس، وكان الشيخ الغنوشي أحد أعمدة الكتابة فيها، وكانت تصلنا بعض أعدادها عبر طلبة البعوث من المغرب العربي في جامعة الأزهر، ثم كان اللقاء الأول وجهاً لوجه في بريطانيا أوائل التسعينيات، وقد تكررت اللقاءات بعد ذلك معه في أمريكا، حيث كان يأتي مشاركاً في المؤتمرات السنوية التي تعقدها مؤسساتنا الإسلامية هناك بشكل دوري أو سنوي، وكانت آخر تلك اللقاءات هي التي جمعتنا به في تركيا عام 2011، ثم في تونس عام 2012.. فالرجل من حيث أفكاره ومواقفه مألوف لكل متابع في الشأن الإسلامي، ولا يشكل فيما يطرحه من أراء أو ما يطلقه من تصريحات أي غرابة أو مفاجآت.

لقد تابعنا ونحن في أمريكا متغيرات الساحة التونسية في الثمانينيات، حيث أسس الشيخ الغنوشي حركة الاتجاه الإسلامي، التي تبنت رؤية حركة الإخوان المسلمين في التغيير والإصلاح، فيما خرج تكتل آخر ابتعد عن مسلك المواجهة مع النظام عُرف باسم "الإسلاميون التقدميون"، بقيادة د. حميدة النيفر، والمحامي والناشط الحقوقي صلاح الدين الجورشي.

باعتقادي إن تطور الساحة الفكرية في تونس كان مألوفاً ومعروفاً؛ لأنه كان لدينا عدد لا بأس به من طلاب الماجستير والدكتوراه يدرسون معنا في الجامعات الأمريكية، وأيضاً كانوا ملتزمين معنا ضمن تنظيم حركة الإخوان المسلمين في تلك القارة. إن المسيرة الحركية الطويلة للشيخ راشد والإخوة التوانسة مألوفة لدينا بشكل كبير، فهم ناس متنوعين، ولديهم حسٌّ ثقافي ووعي سياسي وفلسفي متميز وأدبيات فكرية عالية.

لقد ذهب الشيخ راشد الغنوشي للدراسة في مصر أولاً، ثم غادرها إلى سوريا في السبعينيات، حيث درس الفلسفة هناك، وتعرَّف خلال فترة وجوده في سوريا على فكر جماعة الاخوان المسلمين، وعاد لتونس بعد أن أنهى دراسته ليرفع شعارات الإخوان المسلمين وفكرهم، وقد أدت هذه الرؤية والقناعة الجديدة للشيخ راشد إلى حدوث تحولات كبيرة داخل الساحة الإسلامية في تونس، وتسببت في خروج بعض قياداتها وكوادرها، وتأسيس تيار آخر هجر السياسة واكتفى بالتراث.

في المرحلة الثالثة من التحولات التي مرت بها الحركة الإسلامية في عهد "بن علي" حاول الشيخ الغنوشي التكيف سياسياً مع النظام، وقام بتغيير اسم الحركة إلى النهضة، ولكنه اكتشف بعد أقل من سنتين بأن "بن علي" ليس بالرجل الذي يمكن الوثوق به، حيث قلب لهم ظهر المجن، وفاجئهم بحملة من الاعتقالات الواسعة، اضطر معها الشيخ الغنوشي لمغادرة البلاد.

أقام الشيخ الغنوشي في الجزائر ثم ارتحل منها إلى السودان بعد أصبح محكوماً عليه في بلاده بالإعدام. تقدم بعد ذلك بطلب اللجوء إلى بريطانيا، حيث منح الإقامة هناك كلاجئ سياسي، إلى أن عاد إلى بلادة بعد نجاح الثورة وسقوط نظام بن على في عام 2011.

الغنوشي: مدرسة في الاجتهاد والفكر الإسلامي

إن الشيخ راشد الغنوشي هو رجل متقدم في فكره الديني والإنساني، وهو أستاذ للفلسفة الإسلامية، وصاحب تجربة حياة امتدت لأكثر من 25 سنة في أوروبا، والتي فتحت له آفاقاً واسعة للاحتكاك بالقيادات الإسلامية من بلدان عربية وإسلامية مختلفة، كما منحته فرص اللقاء والتواصل مع شخصيات سياسية وفكرية في الغرب، وهيئت له تلك الإقامة كذلك المشاركة في الأنشطة الكثيرة والمؤتمرات واللقاءات الخاصة، التي تعقدها المؤسسات الإسلامية المنتشرة هناك. وقد نشر الشيخ الغنوشي العديد من الكتب والدراسات، التي أشادت بها زعامات وقيادات في هذا العالم. ففي عام 2012، شاهدت خلال حضوري لملتقى خاص في استانبول شاركت فيه أكثر من 60 شخصية إسلامية قيادية كان من بينهم الشيخ الغنوشي،

حيث أشاد بفكره وكتاباته د. أحمد داوود أوغلو؛ وكان وزيراً للخارجية آنذاك، وقال له: " يا شيخ راشد.. منك تعلمنا الكثير، ولكتاباتك الفضل في بعض أفكار حزب العدالة والتنمية، وقد قمنا بترجمة بعضها للغة التركية".

في الحقيقة، شكَّل كتاب "الحريات العامة في الدولة الإسلامية" للشيخ الغنوشي إضافة كبيرة للأدبيات الفكرية لحزب العدالة والتنمية وما اختطوه من مبادئ وسياسات.

إن من المعروف عن الشيخ الغنوشي أنه رجل متنور ومنفتح على الجميع، وهو مفكر إسلامي غير متعصب، وأتذكر أنه قال لي في إحدى اللقاءات معه في التسعينيات: يا أخ أحمد.. إذا ما استلمنا الحكم عبر العملية الانتخابية، ثم تبين لنا بعد فترة أن الشعب لا يريدنا، فسوف نترك الحكم، ونعطي فرصة لغيرنا أن يتقدم لإدارة شؤون البلاد، ثم نحاول في المرات القادمة إقناع الشارع بنا، من خلال تقديم صورة أحسن ومسيرة سلوكية أفضل.

إن الشيخ راشد الغنوشي كان إضافة إلى موقعه كرئيس لحركة النهضة هو عضو قيادي سابق في التنظيم العالمي لحركة الإخوان المسلمين، وكان من بين قيادات التنظيم الذين أشاروا على حركة حماس بالابتعاد عن تشكيل الحكومة، والاكتفاء بوجودهم كأغلبية في المجلس التشريعي.. وفي نوفمبر 2006، التقيته في العاصمة البريطانية لندن مع مجموعة من قيادات التنظيم العالمي، وقد أكدوا لي ذلك .

إن التصريحات التي خرج بها الشيخ الغنوشي في مؤتمر حزب النهضة الأخير تعتبر "تسونامي" في الفكر الإسلامي، وفي نظرة الناس لرؤية حركة الاخوان التاريخية تجاه عملية الإصلاح والتغير. إن ما قاله الشيخ الغنوشي وطرحه من تحولات في الفكر والرؤية كان من العيار الثقيل، وكان وقعه ربما صادماً على أسماع الكثير من الكوادر الإسلامية في العالم العربي، ولكن وهذه هي الحقيقة أننا لم نشهد قيادات اسلامية بارزة وذات وزن فكري وحركي اعترضت أو حتى علَّقت

بشكل سلبي تجاه ما طرحه الشيخ الغنوشي، وذلك لوزن الرجل التاريخي في قيادة الحركة الإسلامية، ولرجاحة عقله وسعة تجربته النضالية الطويلة.

بصراحة، إن الشيخ راشد يعتبر مدرسة فكرية تنويرية متميزة، وأنا وجيلي من شباب الإخوان في الثمانينيات والتسعينيات قد تعلمنا الكثير منه، وقد توطنت في داخلي قناعات بأن هذا الرجل هو قائد عظيم، ويمتلك من كاريزما الزعامة الكثير، وهو ينظر ببصيرته بمنظار الأمة الكبير، وليس بمنظار الحزب وفضائه المحدود، وأن سقفه فيما يفكر فيه من حسابات هو الوطن وليس التنظيم، وكما يقول الأتراك بشكل مجازي: إن الدولة تتقدم خطوة على الدين، لإظهار قداسة الدولة ومكانتها العالية لدى مواطنيها. إن الشيخ راشد الغنوشي أكد من خلال مواقفه وتصريحاته بأن استقرار تونس كدولة أهم عنده من حزب النهضة؛ لأنه طوال حياته إنما كان يعمل من أجل الوطن، وتحقيق الاستقرار لبلده تونس.

إضاءات الغنوشي: الرؤية والتنوير

لا شك بأن تداعيات تلك التصريحات التي أطلقها الشيخ راشد الغنوشي في المؤتمر العاشر للحركة سيكون لها أثر كبير – عاجلاً أم آجلاً – على الإسلاميين في المنطقة.

ففي ظل المتغيرات الدراماتيكية التي تجري في العراق وسوريا وليبيا وشمال سيناء بسبب المواجهة الدامية مع تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، والملفات المفتوحة مع الإرهاب الذي يحمل عناوين إسلامية، وحملات الاستنفار العالمي لملاحقته، ووضع الإسلاميين في دائرة الملاحقة والرصد والاستهداف لدى دول المنطقة والأجهزة الأمنية في الغرب، فإن الإسلاميين جراء سياسات التحريض والتشويه والتشهير سيضطرون لإجراء مراجعات للتخذيل عن أنفسهم، والعمل بكل فطنة وذكاء في محاولة النجاة بقافلتهم الدعوية، وما تبقى لهم في مشهد الحكم والسياسة، وستكون هناك – بالتأكيد – تحولات للتكيف مع متغيرات الحياة السياسية، التي أعقبت تراجع الحالة الإسلامية وانتكاستها بعد الفشل الذي لحق بحركة النهوض، وأطاح بثوراتها في العديد من الأقطار العربية.

نعم؛ خلال السنوات الماضية حدثت بعض المراجعات للإسلاميين في عدة بلدان عربية، وقد أدى بعضها إلى انشقاقات داخل بنية التنظيم الواحد، كما شاهدنا في الأردن وليبيا والسودان والجزائر، وترتب على ذلك نشوء أحزاب إسلامية جديدة، عملت على التعايش مع الأوضاع السياسية القائمة، بهدف الحفاظ على كياناتها وتطوير مكانتها داخل منظومة الحكم والسياسة، وقد أعلن بعضها عن فك الارتباط بحركة الإخوان المسلمين، كما سمعنا – مؤخراً – في المغرب واليمن، وقبل ذلك في الأردن والسودان.

باختصار: إن ما يحصل للإسلاميين بعد الربيع العربي – كما يقول المنصف المرزوقي – هو ما جرى للشيوعيين في السبعينيات، عندما ظنوا أنهم سيملكون العالم، ولكن في بداية التسعينيات انهاروا مرة واحدة.

إن علينا كإسلاميين أن نعترف بأننا قد وصلنا إلى حالة من الانتشاء مع الربيع العربي، حتى أن البعض أخذه الخيال بعيداً للاعتقاد بأن "دولة الخلافة غدت قاب قوسين أو أدنى". وبعد أن انتكست الأمور، أصبح هناك من يقول: إن الاسلام السياسي كفكرة للتطبيق هي في طريقها للزوال.!! وهذه كلها تبدو – في الحقيقة – مجرد شطحات أو تقديرات موقف، وسوف تثبت الأيام دقةَ ما فيها من صحةٍ أو خطأ.

لا شكَّ أننا اليوم نشعر جميعاً بالإحباط بما في ذلك حركة حماس؛ لأن الدمار الذي حلَّ بالمنطقة كان المسؤول عنه يرفع لافتات إسلامية؛ سواء أكنا متفقين معه أو مختلفين. نحن – بلا شك – قد تراجعنا كأمة إسلامية إلى عدة عقود للوراء، وحتى نؤمِّن مشروعنا للتحرير كفلسطينيين فإننا ربما نحتاج إلى عقد أو أقل من الزمان، حتى تتعدل الأمور، ونصل للحالة التي كانت عليها كيانات الأمة متوهجة في بدايات الربيع العربي .

بالتأكيد، إن حركة حماس سوف تجري بعض المراجعات على فكرها الحركي والسياسي، بالرغم من أنهم لا يفضلون استخدام كلمة مراجعات، وهذا المصطلح غير مرغوب في التداول بين الأوساط الإسلامية عموماً؛ لأن له دلالات

سلبية في الثقافة العربية. نعم؛ هو تعبير إيجابي في الثقافة الغربية، ويتم التعاطي معه غالباً في كل المؤسسات ذات الطبيعة الحزبية في أوروبا وأمريكا، نحن في داخلنا نقول أحياناً من الضرورة أن نجلس كمفكرين وندرس هذه الفجوة، نحن لنا 10 سنوات – تقريباً– في مشهد الحكم والسياسة، وقد حدثت تحولات كثيرة خلالها، وسبق لي بعد الحرب الأخيرة على قطاع غزة (2014) أن كتبت ورقة من حوالي 20 صفحة في سياق المراجعات، وجلسنا وتناقشنا فيها، وكان للبعض ملاحظات – وأيضاً إضافات – ربما أسهمت في إثراء ما تمَّ طرحه، ولكننا نرى أن توطين مثل هذه الأفكار في أذهان كوادر الحركة وقياداتها يحتاج إلى حوارات موسعة، بهدف معرفة أين أصبنا، وأين أخطأنا؟

إن مثل هذه المراجعات لا بدَّ أن تتم؛ شئنا أم أبينا، إن عاجلاً أم آجلاً، حيث نحن بتنا ندرك بأن المشروع الاسلامي أخذ يشهد تراجعاً، ويعاني من فقدان الثقة وحملات الاستهداف والشيطنة، واتهام الإسلاميين وحركة حماس بالتطرف والإرهاب.

إن من الجدير ذكره القول بأن نجاح تجربة الشيخ راشد الغنوشي في رؤيته الجديدة بالفصل بين الدعوي والسياسي، ستدفع إسلاميين آخرين لأن يحذو حذوه؛ لأن خطاب الفصل أصبح ينادي به البعض، وقد شاهدنا قبل عدة أعوام من قام بذلك في المغرب واليمن والأردن، وهناك اليوم في مصر من يطالب بذلك، وتكفي الإشارة لما كتبه د. عمر دراج، الذي كان وزيراً للتخطيط في حكومة محمد مرسي، حيث صرَّح في مقال له بعنوان: "مراجعات سياسية.. بين الدعوي والحزبي" ما أطرحه هنا، هو أن الحزب الإسلامي ذو المرجعية الإسلامية الوسطية لا ينبغي بالضرورة أن يرتبط تنظيمياً بالجماعة، بل أن هذه المرجعية، والمرونة والسعة الكامنة في الشريعة الإسلامية، تسمح بنشوء أكثر من حزب سياسي بنفس المرجعية، لكل منها اجتهاداته السياسية التفصيلية، ويمكن أن تتحالف أو تتنافس طبقاً للظرف السياسي، ولا يشترط بالضرورة أن ينضم أعضاء الجماعة لواحد منهم بعينه، لأنه ببساطة لا يوجد ما يسمى "حزب الجماعة" أو "الذراع السياسي

للجماعة"، ناهيك على أنه لا يشترط أصلاً انضمام العضو لأي حزب سياسي إن لم يكن مهتماً بالعمل الحزبي التنافسي".

إن التجارب الإسلامية الناجحة للفصل بين السياسي والدعوي، والتي شاهدناها في المغرب تشجع على هذا التوجه، وكذلك فإن نجاحات حزب العدالة والتنمية في تركيا تشجع هي الأخرى على سلوك هذا الدرب .

لقد قدمت مقترحاً في عام 2006 لحركة حماس حول ضرورة إنشاء حزب سياسي أو تحول ذراعها السياسي "التغيير والإصلاح" لحزب سياسي، ولكن لم يكن هناك قناعة بالفكرة أو حتى استحسان لها، وقمت في عام 2011 بنشر مقال بصحيفة الحياة اللندنية يحمل نفس الفكرة، ولكن لم يعلق أحد سلباً أو يوجه لنا اتهاماً فاستبشرنا خيراً. وعاودت الكَّرة بجراءة أكبر، وصرت أتحدث بها في المجالس، بل كتبت مقالاً مطولاً أطرح فيه فكرة الفصل بين الدعوي والسياسي والعسكري!!

ومع قناعتي المطلقة بالفكرة، وضرورة عدم إشغال كل مكونات الحركة بمشهد الحكم والسياسية، والاستفادة من تجارب شعوب عربية وغربية أخرى حققت الفصل والنجاح والتمكين، إلا أن فضاء الرؤية في ساحتنا ما زال ضبابياً، وهناك غالبية تتمنع، وإن كان الكثير من الكوادر الشبابية عالية الثقافة تطالب بمثل ما ندعو إليه .

ختاماً: نحن والغنوشي إلى أين؟

إن الشيخ الغنوشي هو اليوم في مسيرته الدعوية والسياسية كمثل من يحمل القنديل؛ مصدر رؤية وإلهام للكثير من الإسلاميين، ونحن منهم، فبقدر نجاح تجربته والتمكين لها يكون النموذج والاقتداء.

نعم؛ سيمضي الشيخ الغنوشي بتجربته السياسية إلى آخر المشور، وسيوظف كل ما أوتي من حكمة وفطانة سياسية وحركية وعلاقات دولية لتنجح تجربته وتلقي بظلالها الوارفة على الآخرين، وسيدرك الكثير من قيادات العمل

الإسلامي أن الرجل كان دائماً سابقاً لزمانه، وأنه صبر وظفر ويمنحنا الأمل بأن التغيير قادم، ولكنه التغيير القائم على فلسفة المشاركة لا المغالبة، وهي محطة تتطلب لبناء الوطن القناعة والإيمان بالدولة المدنية، التي يتعايش فيها الجميع كمواطنين تحت كنف الدستور والقانون.

إن على الإسلاميين توطين ذهنياتهم على استيعاب الآخر والتعايش مع الجميع؛ لأن الدين جاء رسالة رحمة للعالمين، ونحن في الساحة الفلسطينية بحاجة لجهد الجميع في الداخل والخارج، والمراجعات ستعطينا مؤشرات كافية لتلمس الطريق بدل الغرق في الحالة التي عليها الكثير من الإسلاميين في دول المنطقة.

ففي تقييمه لأوضاع الحركة الإسلامية، يقول د. محمد أبو رمان: إن "الحالة التي عليها الإخوان ليس في الأردن فقط، بل في الجزائر ومصر والعراق وسورية، تشي جميعها بأنّ الجماعة تعيش حالة من التمزّق والانقسامات الداخلية والخلافات الكبيرة، سواء اتخذت طابعاً مؤسسياً أو إعلامياً وشخصياً وسياسياً؛ بينما نجد الدول والمجتمعات التي عملت على تطوير مشروعها، والتحلّي بقدر كبير من البراغماتية والمرونة في التعاطي مع المشهد السياسي، استطاعت تجاوز الأزمات الداخلية بدرجة كبيرة، كحالة حزب النهضة في تونس وحزب العدالة والتنمية في كلٍّ من تركيا والمغرب".

إن من المفارقات القائمة اليوم في الساحة الإسلامية هو أن معظم تياراتها الحركية في الدول العربية تتطلع لنموذج حزب العدالة والتنمية (AK Party)، الذي أسسه رجب طيب أردوغان عام 2001، حيث بهر الجميع بنجاحاته المتميزة على مدار اثني عشر عاماً، ولكن لا أحد منهم يفكر أو يسأل: كيف تمكن هذا القائد والزعيم من تحقيق هذا النفوذ السياسي الكبير، وبلغ هذه الحالة من الازدهار والاستقرار داخل بلاده؟ وكيف وصل بتركيا إلى هذه المكانة العالية إقليمياً ودولياً.؟

إن على جميع الإسلاميين في دول المنطقة العربية، وخاصة إخواننا في مصر والأردن وفلسطين، العمل على دراسة حجم الخطوة التي قام بها أردوغان ورفاقه للتحول من خطاب الإسلام السياسي وشعاراته القائمة على العنتريات وعزف

الحناجر إلى تبني العملية الديمقراطية، والتعاطي مع فكرة الدولة المدنية وفرضياتها التي تبسط أجنحتها في مشهد الحكم والسياسة.

هنا – بلا شكٍّ – تكمن أسرار التجربة، والمدخل لفهم كل هذه المعجزات، حتى تتحقق لنا عملية التواصل وتحولات الرؤية من نهضة الغنوشي إلى مقاومة وحكم حماس.

مداخلات

➢ **د. خضر محجز**

يحضرني عبارة مليئة بالمرارة وهي رسالة الغنوشي للاخوان المسلمين في تركيا ، على اثر تبيان وفد النهضة أنه بدأ ينحو نحواً جديداً مختلفاً ، قال لن نتخلى عن تونس ولا من أجل الرسالة الخالدة. فكر الغنوشي كان مختلفاً مبكراً، ونحن نعلم أنه كان مؤلف كتاب مع نظيره السوداني حسن الترابي ومن الواضح أن الاثنين غردوا خارج السرب مبكراً ، سؤالي الثاني الدكتور أحمد يوسف يطرح ضرورة الفصل بين السياسي والدعوي هل المقصود بها السياسي والديني؟ وما طرحه الدكتور أبراش هل لحماس المقدرة على الاندماج مع النسيج السياسي الفلسطيني والوطنية الفلسطينية ، هل بإمكانها تقبل بمشروع سياسي يتمخض عن المفاوضات وتعتبره أنه ليس من الدين وفلسطين أرض العقيدة والقرآن ، هل هذا واقعي أم دنيوي ، هل البنية الداخلية للحركة بما أن القسام يتمول من إيران الموائمة بين الوطني والديني؟

➢ **أ. توفيق أبو شومر**

سؤالي لـلأخ أحمد يوسف وهو أليات الحزب المنسوب للدين يعمل أشياء مهمة جداً وهذه الأشياء هل سيجري مراجعتها والتراجع عنها؟ هناك فرق بين المراجعة والتراجع وهذا الفرق يجب أن يطرح دائماً. الاسلاميون عندما يأتون يأتون كبديل كما تفضل الدكتور ابراهيم أبراش ولا يأتون كمكمل ، لذلك هم يعمدون الى إلغاء انجازات الأخر والبدء بالمجتمع من نقطة الصفر. نقطة أخرى وهي العاهة الرئيسية والتي أعتبرها جزء من هذا الحزب المنسوب الى الدين هو استخدام التقية الدينية المسخرة في تكفير الآخر، وأخر نقطة وهي استخدام القسوة والقوة بإنتاج التسليح كجزء من التوظيف الديني لإجراء القمع وتوظيف هذه العسكرية وهذا اللواء للقمع وبالتالي هم يأتون كبدائل لنسف كل انجازات المجتمع السابقة.

➢ **أ. أحمد أبو شاويش**

لدي وجهة نظر في مقولة راشد الغنوشي الوطن أولاً، وأقول هذا لأني مطل على تجربة راشد الغنوشي في سوريا، وأكاد أجزم أنه خرج من سوريا وهو لا علاقة له اطلاقاً بالإسلام السياسي ولا غيره، وهذه من زملاء يدرسوا في كلية الفلسفة في جامعة دمشق الأن وهم أصدقاء له، لكني أعتقد أن منبع هذه الفكرة أتت من مصدرين : المصدر الأول هو أنه عاش في فرنسا حيث الفكر السياسي في فرنسا متقدم عما سواه في أوروبا ومن هنا أتت نظرته العقلانية للمسألة السياسية ، المصدر الأخر لا أملك دليل مادي أو عملي عليها لكني أملك الموضوع التي نشأت

فيه وفي محيطها وهو علاقة راشد ببعض الأطراف ولا أريد أن أسمي، هذه المقولة أصلاً سرية وهي الوطن أولاً، ماو سي تونك كان يقول نحن هنا أولاً وهنا هي أكبر قومية في الصين والصينيين ثانياً والشيوعيين ثالثاً ، هو لم يتنازل عن الشيوعية ولكنه عرف كيف يحدد أولوياته ، أنا أكاد أشير لمن تناقش هو وإياه في هذه الفكرة، أيضاً ماو سي تونك قال أن كل مجتمع فيه تناقضات وأحياناً تكون حادة لكن اذا تعرضت البلاد لعدو خارجي على كل هؤلاء المتناقضين داخلياً أن يجمدوا تناقضاتهم ليواجهوا العدو الخارجي هذا هو الفهم الواقعي للسياسي، واقعنا السياسي يفرض علينا الاستفادة من رأي الغنوشي. في الحقيقية مسألة فصل الدعوي عن السياسي أنا غير قادر على استصاغتها، ومعناها الصريح هو فصل الدين عن الدولة وليس فصل الدعوي عن السياسي.

➢ **أ. حسن جبريل**

ما أود التركيز عليه من خلال هذه التجربة أن أهم ما في الأمر فيما يتعلق في العلاقة مع حركة حماس والفصائل الوطنية هي المتغيرات الثقافية قد يقبل هذا المشروع في تونس وفي المغرب وفي دول أخرى نتيجة أن الثقافة تختلف عن الثقافة التي تربينا عليها في قطاع غزة، فالتغيرات الثقافية من الصعب تغييرها عند حركة حماس وان كان هناك تغيرات أنا بتقديري أنها خطوات تكتيكية فقط لخدمة المشروع الكبير، وحسب اعتقادي للدكتور أحمد أنه حصلت مراجعات عند حركة حماس وهي ما حصلت في 96 و97 وتم تشكيل حزب الخلاص ورموز حزب الخلاص هم الأن قادة في حركة المقاومة الاسلامية ومنهم اسماعيل هنية نائب رئيس المكتب السياسي، أين ذهبت هذه المراجعات

الفكرية وهل تعتبر هذه فقط خطوات تكتيكية للوصول الى ما هو أبعد من ذلك؟ الإخوة في حماس لم يعد يعطوا للبعد الشعبي أي اهتمام بالمطلق، بدليل أن ما يحدث من فعاليات لا تتناسب وحجم الحركة في السابق ، اليوم حماس تحولت الى حركة تحكم فقط بالأمن وبالعسكر، وبالتالي هي أصبحت جزء من حزب البعث في سوريا أو في العراق أو من النظم الاستبدادية في المنطقة ، لا نريد أن نتحدث بهذه الطريقة لكي نهاجم حماس ، حماس جزء من الحالة الفلسطينية ونتمنى على حماس أن تكون هناك مراجعات حقيقية، خلافها مع فتح أو مع منظمة التحرير ليس أوسلو وليس حكومة وليس انتخابات الخلاف موجود من السابق حتى من الانتفاضة الأولى وفي تشكيل القيادة الوطنية الموحدة حماس رفضت الدخول وبالتالي لم تكن أوسلو ولا عمل عسكري وأيضاً لم تكن مقاومة لذلك هذه المراجعات تحتاج الى جيل ينشر ثقافة التعايش مع أنفسنا أولاً حتى نستطيع أن ندخل ونحمي المشروع الوطني الفلسطيني.

➢ **د. ناصر عوض**

سؤالي للدكتور أحمد، هل المراجعات هي مراجعات مرحلية أم استراتيجية وإن كانت استراتيجية ما دور التنظيم الدولي للإخوان على هذه المراجعات؟ هل هناك اقتراحات من التنظيم الدولي حول هذه المراجعات أو دعم لهذه المراجعات؟

➢ **أ. طلال أبو ركبة**

من الظلم أن نختصر التحول بحزب النهضة بشخص الغنوشي ولا أعتقد أن هذا نابع من ثقافة الشخص في المجتمع العربي بشكل عام

، أنـا بإعتقـادي أن حركـات الاسـلام السياسـي منـذ سـبعينات القـرن الماضـي تمتـاز بشـيء مهـم جـداً وهـي التكتيـك فـي خدمـة الاسـتراتيجية بمعنـى توضـح الوسـائل لكيفيـة الصـعود داخـل حركـات الاسـلام السياسـي تسـتخدم وسـائل متعـددة وسـنلاحظ التمـايز فـي تعـاطي حركـات الاسـلام السياسـي فـي ذلـك الحـين، اذا لاحظنـا فـي فتـرة الثمانينـات والتسـعينات تعـاطي حركـات الاخـوان المسـلمين فـي دول مختلفـة عـن الأخـرى علـى سـبيل المثـال الاخـوان المسـلمين وعلاقتهـا بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـي الأردن كانـت مختلفـة عـن تعـاطي حركـة الاخـوان المسـلمين فـي السـودان مـع الادارة الامريكيـة وبالتـالي هنـاك تبـاين ونـوع مـن الاسـتقلالية لكـل حركـة وهـذا مـا يسـموه بالتكتيـك أو المرونـة فـي التعـاطي مـع الحـدث مـن أجـل تحقيـق هـذه الاسـتراتيجية ، وأحـد أوجههـا كـان هـو الانتقـال مـن حالـة الخطـاب الـديني الـدعوي الـى حالـة الخطـاب الـديني الـوطني وهـذا ممكـن مـا تبنتـه حمـاس منـذ انطلاقتهـا فـي 87 ، واذا لاحظنـا أن كـل حركـة اسـلام سياسـي تنشـأ تنبثـق منهـا حركـة اسـلام سياسـي أخـرى علـى سـبيل المثـال أفغانسـتان والمجاهـدين العـرب انبثقـت مـنهم طالبـان ثـم القاعـدة هـذه كلهـا مـن ضـمن تكتيكـات معينـة مـن أجـل اسـتراتيجية واحـدة وهـم يؤمنـون فقط بالمشروع الاسلامي كمشروع أممي.

➢ **أ. يحي قاعود**

بالنسـبة لأثـر المراجعـات الفكريـة تحديـداً تـونس وفلسـطين ، يجـب أن نأخـذ التجربـة بشـكل كامـل فـي تـونس ولـيس فقـط الفكـر الحركـي رغـم قلـة الامكانيـات فـي تـونس الا أن الفـرد يحظـى علـى متوسـط دخـل أفضـل

من دول البترول في الخليج لماذا لوجود تنشئة سياسية جيدة على عكس ما موجود في مجتمعنا.

➢ **أ. سليم ماضي**

سؤالي للدكتور أحمد يوسف ، دائما ما نطرح لك دكتور مقالات وكتابات تنتقد السلوك السياسي والفكري لحركة حماس هل لذلك أي تأثير على حركة حماس؟

➢ **د. مازن العجلة**

الحقيقة نحن أمام قرار غامض وليس واضح وهو قرار حزب النهضة وأخذ زخمه من زخم راشد الغنوشي ويحظى بالتقدير والاحترام ولديه تجربة طويلة داخل الدول الأوروبية علمته الكثير عن الحرية والانفتاح ، أنا أشارك أبو المعن ما المعنى من فصل السياسي عن الدعوي نفترض أن لدينا سياسي ليس له علاقة بالدعوي ، هل هذا السياسي سيجيب عن أسئلة النهضة الحقيقية بالتعامل مع الأخر والانفتاح وأهمية الدولة هل سينجح القرار أم لا؟ هل سيتم ترجمة الفصل بين السياسي والدعوي؟ وكيف يمكن أن يتم هذا التحول؟ الحركة الاسلامية بعد المصادمات مع الدول أو الفشل كانت تختار منهجين اما منهج اعتبار ما حدث هو محنة وابتلاء أو منهج اعادة النظر، أنا أدعي أن ليس هناك مراجعات وازنة من قبل الحركات الاسلامية أنا اعتبر أهمها هي مراجعات السجون الخاصة بالجماعات الاسلامية أنه تم الوصول للقناعة عدم جدوى استخدام العنف هذه كانت خطورة المراجعة وأهميتها، ومن الجيد أن تتأثر حماس بمثل هذه المواقف اذا اعتبرناها مواقف ذات تحول ، لكن نحن أبناء البلد وحماس من البلد

وكلنا نعلم أن حماس لا تملك أي مراجعات وليس لها أي امكانية للتجاوب مع الطروحات غير الطروحات الحمساوية.

➢ **أ. أماني عطاالله**

سؤالي للدكتور أحمد يوسف كما قال أن الغنوشي يستطيع أن يتنازل عن الحكم بما أن الشعب ضده ، هل يستطيع أن يقول لحماس أن تتنازل عن الحكم بما أن معظم الشعب لا يريد حماس ، ما هو تعقيبك على تصريحات لطفي ـ عندما قال بأن حركة النهضة لا تنتمي بأي يوم من الأيام لحركة الإخوان المسلمين، لماذا كانت قضية فلسطين غائبة في المؤتمر الذي عقد في 20 مايو ولم يكن خالد مشعل من الحضور وانما كان أسامة حمدان ولم يعقب على تجاهل قضية فلسطين في المؤتمر؟

➢ **أ. وائل قديح**

تقديري بخصوص واقعنا الفلسطيني أن حركة حماس لا تتقبل النقد على الاطلاق وتعتبر نفسها حركة ربانية ملهمة وبالتالي كل تصرفاتها صحيحة، سؤالي للدكتور أحمد عن معنى فصل الدين عن السياسة هل يعتبر تخلي عن أفكار حسن البنا ما هو رأيك؟

➢ **أ. هاني حبيب**

أولاً أنا أعتقد أن حزب النهضة لم يهزم ولكن تراجع وأصبح حزباً ثانياً وهو مشارك في الحكم ورئيس الدولة هو الذي افتتح المؤتمر ، ثانياً أعتقد أن رؤية المراجعة لحزب النهضة هي رؤية شخصية من الغنوشي الدليل على ذلك أن بعض زعماء الحزب الكبار لم يشاركوا في المؤتمر

حتى من ضمنهم من كان مسؤولاً عن تنظيم المؤتمر، النقطة الثالثة وهي أن الغنوشي فاز على الحافة ، لذلك يجب وضع كلمة مراجعة بين قوسين لأن أنا على صعيدي الشخصي أشك بكل المراجعات التي بمثل هذا النوع.

➢ **د. ابراهيم المصري**

سؤالي للدكتور أحمد يوسف، المراجعات في حركة حماس تحتاج لشروط ، أن يكون في قرار من حماس بهذه المراجعات وحتى هذه اللحظة لم يرد لي بوجود قرار بخصوص المراجعات، ثانياً هذه المراجعات يجب أن يعرف بها جميع أعضاء حركة حماس في قطاع غزة حتى تتم التنشئة السياسية ، واذا كنا نتكلم في غير ذلك أعتقد أنه ليس مراجعات وانما تعديل سلوكي لمصلحة معينة اضطرت بها حركة حماس بهذا الشكل.

➢ **أ. حسن عبده**

أتفق تماماً مع من قال بأنه لم يحدث مراجعات بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة بمدى الحركات الاسلامية ، كان بودي أن يكون هناك وجود لحركة الجهاد الاسلامي اذ أن التنوع في الخطاب الاسلامي هو كما في الحالة العلمانية ، الجهاد الاسلامي نشأ في عملية مراجعة تمت في وقت مبكر وهي أنهت منذ النشأة أهم اشكاليتين تعاني منهم حركة حماس منذ الأن وهو العلاقة بالوطنية من جهة والعلاقة بالتشدد الاسلامي من جهة فمنذ البداية اختارت حركة الجهاد الاسلامي الاسلام العام فلم تكفر أحد فاختارت الدائرة الاسلامية الفوق مذهبية وهذا جنب الحركة مما تعانيه الحركة الاسلامية من حالات تشدد الموجودة حالياً،

أيضاً العلاقة بالوطنية هذه اشكالية ما زالت قائمة لدى الحركات الاسلامية ، ان كانت عملية مراجعة حقيقية حصلت هي التي حصلت في نهاية السبعينات ونجم عنها حركة الجهاد الاسلامي الذي عبأت الاسلامي بالوطني وطالبت أن لا يستبعد الاسلامي من المعركة، أنا أؤكد أنه لا يوجد مراجعة حقيقية في التيار الاسلامي هناك تدهور سريع في الظاهرة الاسلامية التي برزت منذ السبعينات وبالتالي هناك من ناور لينجو بنفسه كما فعل راشد الغنوشي ، لكن على الأرض هو لا يقدم برنامج لكي يقول لنا كيف نفصل بين الدعوي والسياسي وهذا هو سؤالي للإخوة.

ردود الباحثين

➢ **د. عبد الحكيم**

فقط ملاحظة للرد على سؤال: لماذا لم ندعو حركة الجهاد الإسلامي؟ نحن لم ندعو الاخوة المتحدثين على أساس حزبي أو انتماء حركي ولكن على أساس تجربتهم الفكرية وكتاباتهم عن هذا الموضوع.

➢ **د. ابراهيم أبراش**

فقط اريد أن أشير على شيء واحد وهو أنه لا بديل الا أن تصبح حماس جزء من المشروع الوطني من خلال المراجعات وعملية التكيف أو من خلال عمل عسكري ونحن نرفض انهاء حماس بالعمل العسكري من أي جهة كانت وبالتالي ليس أمام حماس الا أن تقترب من الحالة الوطنية، من أخطاء حماس أنها روجت أن كل من ليس مع المشروع الاسلامي فهو علماني العلمانية تعني الكفرة، هذا فهم خاطئ اطلاقاً هناك فرق بين العلمانية والالحاد وأنا قريب من الفكر العلماني ولا أتردد أن أقول عن نفسي علماني، ما هي العلمانية وهي تعني ليس من حق أحد أو حزب ما أن يختزل ويحتكر الدين والمقدس لأن الله لن يفوض أحد بعد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتكلم باسم الدين، الغرب العلماني فيه المسجد وفيه الكنيسة والكنس والناس يمارسوا عباداتهم، العلمانية ليس ضد الدين ولكن ضد تدخل رجال الدين بالعمل السياسي،

عندما تتصارع الاحزاب في الحياة السياسية ليس من حق أي حزب أن يقدم مشروع ديني ويحتكر الدين، الصراع السياسي هو صراع حول برامج اقتصادية وتعليمية وصحية هذه هي أيضاً العلمانية، تركيا وأردوغان قال في مصر أنا حزب ولدي توجهات دينية وأحكم بدولة علمانية اذاً يجب عدم تكريه الناس، مارس معتقداتك كما تريد ولكن لا يجب أن تتميز على أحد بإحتكارك للدين، النقطة الأخيرة أيضاً جماعة الاسلام السياسي والثقافات تلعب دور وماليزيا لها نموذج خاص وتركيا أيضاً، واحدى التفسيرات الموجودة أن الثقافة العربية هيمنت على الدين، أخيراً كما قال د. حسن عبده نعم أنا أعتبر جماعة حركة الجهاد اسلام سياسي وطني وهذا ما يميزها لأنهم يقولوا أنهم ليس امتداد لأحد ولسنا فرع من جماعة الاخوان المسلمين ولا غيرها، قد يؤخذ عليها علاقات مع هذه الدولة وذاك ولكن نطاقهم فقط وطني فلسطيني ولا أريد أن أحرض يفترض أن تتميز حركة الجهاد حقيقةً عن الاخوان المسلمين.

➢ **د. عبد الحكيم شكراً للدكتور ابراهيم**

ما يتم الحديث عنه أنها مراجعات فكرية وليس مراجعات لبرامج سياسية التي يمكن التراجع عنها وتطويرها، ولا تمس المعتقد، ربما هناك البعض من قيادات الحركات الاسلامية من يعتقد أن المراجعات حرام؟

➢ **د. أحمد يوسف**

الموضوع جميل وحيوي وحساس وسؤال المرحلة، لا شك أن الأن وبعد تصريحات الشيخ الغنوشي ، لا نستطيع أن نجيب على كثير من الأسئلة الأن لضيق الوقت ولكن ستكون بالنسبة لي مادة للبحث والكتابة والتأمل لعلي أصل لإجابات لكثير من هذه الأسئلة، أنا لست مدافعاً عن

المشروع الاسلامي لكن أنا كإنسان فلسطيني وطني واسلامي وأنا جزء من الحركة الاسلامية ولدي تجربتي في الغرب وأعرف التوانسة عن قرب وعندما أتكلم أتكلم من تجربتي مع الناس وأعرف الشيخ الغنوشي شخصياً، الشيخ الغنوشي هو رجل متنور وصاحب مدرسة وهو الذي وطن هذه الفكرة في أذهان الكثير لذلك عندما حدثت الانتخابات فاز بأريحية، مشكلة راشد الغنوشي ليس مع التوانسة ولكن مع الاخوان في كل مكان، أنا لغاية الأن لم أجد ردود فعل من التنظيم العالمي للمواقف التي أطلقها الشيخ الغنوشي حتى الرسالة التي قال عليها أبو حذيفة (خضر محجز) لكن قد يكون مضمون الرسالة صحيح لكن هو يقول أنها ليست رسالته والغنوشي يقول أكثر من هذا، وهو رجل ذكي وسياسي انتخب في 2014 معنى أنه حديث عهد والشيخ راشد ذكي عن التوازنات وله احترام من كل قيادات الحركة الاسلامية في الداخل والخارج لأنه رجل صادق صبر أنسجن تعذب تتطارد عاش غربة طويلة جداً، وكما يقول زيتونة وهو صديق أعرفه جيداً عندما حطوا رحالهم في بريطانيا وطلبوا اللجوء السياسي كانوا جزء من الحركة الاسلامية وكانوا يتقاضوا راتب من الحركة الاسلامية، وربما نحن كعنوان للإخوان المسلمين لم نزيل هذا العنوان، بعض الحركات مثل حركة الاتجاه الاسلامية والجماعة الاسلامية والنهضة هم ناس على فكر الاخوان والكل يعلم أن الشيخ راشد قيادي في التنظيم العالمي منذ الثمانينات وهو من أوائل الناس الذي تم انتخابهم، ربما الشخص يفتقر في الغربة لكثير من القيم التي يعيشها في مجتمعه، أنا لا أعطي الاخوان المثالية والنزاهة والطهارة في كل شيء أي نعم نحن تربينا أننا بديل هو تيار يحكم الساحة ربما ما جاء من حالة استعمارية أدار البلاد بالأخلاق

الناسفة والاستبداد والظلم، في بداية نشأتنا كنا نقرأ ثقافة السيد قطب وكان لدينا مفهوم العزلة الشعورية بمعنى أن هذا المجتمع ليس ملكنا وهو ليس البيئة ولا التربة التي من الممكن أن ننبت نبات حسن فيها، وهذا متجذر في صفاتنا وفي ال DNA لكثير من كوادر الحركة، ولكن هل هذا الفكر ظل موجود أم تغير، أنا أقول تغير لأنه أصبحنا نؤمن في قضية الشراكة في ضغوط وظروف وكثير من قيادات الحركة درسوا في الخارج وعادوا وقدموا بأفكار جديدة وليس هو نفسه الذي بدأنا به مع حسن البنا، لو نظرت للإخوان في الجزائر مختلف عن السودان ومصر وهكذا كل بلد له خصوصيته ونحن أيضاً في فلسطين لدينا خصوصيتنا، عالجت بعض الاشارات لموضوع حماس والاخوان في جدلية التاريخ والجغرافيا في أخر مقال نشرنا في القدس، كل شيء يتغير لا شك، الوضع في الداخل لا شك أنه صعب والقناعات وبعض المفردات الديماغوجية هي ما زالت تكرس الانقسام، نحن كتبنا منذ 2006 على موضوع الشراكة السياسية، الاخوان في بداية الوقت لم يكن لديهم قناعة، الظروف والواقع تجعل الانسان يغير بعض القناعات والانسان المحاصر في غزة وما يعانيه من قهر يعيش حالة يسموها في الغرب siege Penalty عقوبة الحصار، من يخرج خارج غزة يرجع بعقلية مختلفة لأن غزة صغيرة جداً بالنسبة للخارج، أيضاً الدكتور موسى أبو مرزوق من الأشخاص المنفتحين حتى خالد مشعل وغيره لأنهم درسوا في الخارج وغيره، (سؤال من الحضور) ما تأثيرهم على من يحكموا هنا؟، التغيير يحدث بالتدرج كما قال الشيخ راشد نحن نغير ونتغير، أنا أرى كوادر حركية أصبحت لديها قبول أن تنتقد الناس حماس، الموضوع يحتاج لاعادة النظر، اسرائيل لا يمكن أن نواجها

ونحن منقسمين وكل يوم هناك أصوات ترتفع قد لا تكون الانتخابات القادمة هي الحاسمة في هذا الملف ولكن ربما الانتخابات التي تليها سيكون في تغيير جذري في فهم الناس ونظرتهم للمشروع الوطني والرؤية الوطنية، وأخر نقطة قضية الوطن ليس فقط قالها راشد قالها قبله الشيخ النحناح، أن الوطن يظل أكبر من التنظيم، أنا سأبقى على العهد وأبذل كل الجهد لصناعة ما أستطيع، نحن أشخاص أتيحت لنا فرصة بالخارج تعلمنا منها أشياء كثيرة نحاول أن نوصلها لإخواننا بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة الى أن يتحقق وعد الله فينا وفيهم وأي حركة في العالم تمر في الدولة الحضارية تعمل وتنجز وربما تخفق ستنزل حظوظك شئت أم أبيت، لكن في النهاية نحن في اتجاه شراكة سياسية وضمن توافق وطني، وهذا والوطن للجميع والعمل والمشروع الوطني يسع الجميع.